



الصحبة والصحابة

رسالة تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم رضي الله عنهم

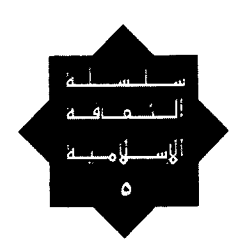
بقلم

الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام

هدية
مجلة الأحمدية
العدد ١٩

الصحبة
والصحابة





الصحبة والصحابة

رسالة تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم رضي الله عنهم

بقلم

الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام



الطبعة الثانية



دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

الإمارات العربية المتحدة - ص.ب ٢٥١٧١ دبي - هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨ - فاكس: ٣٤٥٣٢٩٩

الموقع: www.bhothdxb.org.ae البريد الإلكتروني: irhdubai@bhothdxb.org.ae

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

افتتاحية

نستفتح بالذي هو خير، حمداً لله، وصلاةً وسلاماً على حبيبه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فيسعد دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث أن تقدم للباحثين والقراء كتابها الخامس في «سلسلة الثقافة الإسلامية» وهو بعنوان: «الصُحْبَةُ والصَّحَابَةُ ـ رسالة تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم ﷺ»..

والدار إذ تستفتح لإصدارها هذا، لترجو من الله تعالى أن يعم النفع به، وان يوفقها لإتمام رسالتها العلمية.

وهذا التقديم مقرون بالشكر والعرفان لأسرة «**آل مكتوم**» حفظها الله تعالى، التي ترعى العلم، وتشيد نهضته، وتحيي تراثه، وتؤازر قضايا العروبة والإسلام، وعلى رأسها **صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي**، الذي أنشأ

هذه الدار لتكون منار خير، ومنبر حق على درب العلم والمعرفة، تجدد ما اندثر من تراث هذه الأمة، وتبرز محاسن الإسلام فيما سطره الأوائل، وفيما يمتد من ثماره، مما تجود به القرائح، في شتى مجالات البحوث الإسلامية، والدراسات الجادة، التي تعالج قضايا العصر، وتؤصل أسس المعرفة، على مفاهيم الإسلام السمحة: عقيدةً، وشريعةً، وآداباً، وأخلاقاً، ومناهج حياة، مستلهمة الأدب القرآني، في الدعوة إلى الله على بصيرة ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

وكذلك مؤازرة **سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم، نائب حاكم دبي، وزير المالية والصناعة، والفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي، وزير الدفاع.**

ولا يفوت الدار أن تشكر من أسهم في خدمة هذا العمل العلمي من العاملين بها، وهو:

(١) سورة النحل (١٢٥).

- مساعد باحث: **الشيخ/ سيد أحمد نورائي**، والذي قام بتصحيح الكتاب وترتيب فهارسه، ومراجعة تجارب الطبع والتنضيد.

سائلين الله العون والسداد، والهداية والتوفيق، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعين على السير في هذا الدرب، وأن يتواصل هذا العطاء من حسن إلى أحسن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دار البحوث

مقدمة

الحمد لله، ألف بين قلوب عباده على حبه سبحانه وتعالى، وحب رسوله ﷺ، فصاروا إخواناً متحابين على غير أنساب بينهم ولا أموال يتعاطونها حتى ائتلف في رحابهم السلطان والقرآن، وتآخى السيف والقلم، ونحمد الله تعالى أن جعل في الأمة خَلَفاً يقتدي بالسلف الصالح، ويسترضون عليهم، ويستغفرون لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

والصلاة والسلام على رسول الله، الذي جمع له بين السلطان والقرآن، بالسلطان يَحْكُم، وإلى القرآن يحتكم، وألف بين قلوب أصحابه من المهاجرين والأنصار على المحبة الصادقة والمتابعة الخالصة، وهو إمامهم المقتدى به، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه «الذين عرفوا مقاصد الشريعة فحصلوها، وأسسوا قواعدها وأصولها، وجالت أفكارهم في

(١) سورة الحشر (١٠).

آياتها، وأعملوا الجدَّ في تحقيق مبادئها وغاياتها، وعنوا بعد ذلك باطراح الآمال، وشفعوا العلم بإصلاح الأعمال وسابقوا إلى الخيرات فسبقوا، وسارعوا إلى الصالحات فما لُحقوا، إلى أن طلع في آفاق بصائرهم شمس الفرقان، وأشرق في قلوبهم نور الإيقان، فظهرت ينابيع الحكم منها على اللسان، فهم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، وكيف لا؟ وقد كانوا أول من قرع ذلك الباب، فصاروا خاصة الخاصة، ولباب اللباب، ونجوماً يهتدي بأنوارهم أولوا الألباب رضي الله عنهم، وعن الذين خلفوهم قدوة للمقتدين، وأسوة للمهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين»[1].

أما بعد: فهذه كلماتٌ صيغت على حب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ وحب صحابته رضوان الله عليهم، كُتبت ونحن نستقبل بحمد الله تجديداً لأمر الدين على منهاج النبوة، وأهل العلم العدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ويعملون للعودة بالأمة

(١) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحق الشاطبي (١/ ١٩).

كلها إلى حال المحبة الصادقة بيننا وبين سلف هذه الأمة، أولئك الذين جاهدوا واجتهدوا في سبيل الله ونصرة الحق والمنافحة عن رسول الله ﷺ والإسلام.

وقد شهدت بلادنا خلال هذا العقد بحمد الله تعالى إنشاء عدد وافر من المساجد الجامعة تحمل أسماء الصحابة رضي الله عنهم، والراشدين إتباعا للمنهاج النبوي الذي كانوا وسائطنا إليه، ودليلاً على الوفاء لهم، وعياذاً بالله من تطاول أهل الجرأة على الصحابة، وهم رضي الله عنهم سادة أولياء الله بعد النبيين ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[1]، وكانوا مع رسول الله ﷺ كما وصفهم القرآن العظيم ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، وقد حذرنا رسول الله ﷺ فيما يروي عن رب العزة في الحديث القدسي من الجرأة على ولي له سبحانه

(١) سورة يونس (٦٢ ، ٦٣).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

وتعالى فقال: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[1].

وقد تضمنت خطب الافتتاح - في المساجد المذكورة - جملة من المعاني الشريفة عن حياة الصحابة رضي الله عنهم وسيرهم كنماذج تحتذى من حياة من كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوباً، وأصدقها إيماناً، وأصلحها عملاً، وأخلصها جهاداً في سبيل الله، وحسبهم مع ذلك شرفاً أن اصطفاهم الله تعالى واختارهم لصحبة نبيه المصطفى ورسوله المجتبى إمام المتقين وأسوة المجاهدين وقدوة الصالحين وقائد الغر المحجلين، صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

ثُمَّ إنّا جمعنا أطراف تلك الأحاديث ونسقنا بينها، وأضفنا إليها، فكانت هذه الرسالة التي حررناها من أجل تنشئة صالحة لشبابنا، وتثبيت لقلوب المسلمين كافة على حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ وحب الصحابة رضي الله عنهم الذين هم وسائطنا إلى رسول الله ﷺ، ومعرفة فضلهم، فإنه لن ينصلح أمر هذه الأمة إلا بذلك، وعسى أن تفي هذه الرسالة

(١) صحيح البخاري (٥/٢٣٨٤) صحيح ابن حبان (٢/٥٨).

ببعض الواجب نحو الصحابة رضي الله عنهم، نسأل الله أن يرزقنا حبهم، ويوفقنا لحسن الأدب معهم، والاهتداء بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

أولاً ـ معنى الصحبة

الصحبة تعني: المصاحبة والمرافقة والموافقة والمجالسة على حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ[1]، والصحابة هم أصحاب النبي محمد ﷺ الذين صاحبوه وجالسوه وسمعوا منه وأخذوا عنه هدي الإسلام وسننه، فنصروه وعزّروه وجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله عز وجل.

ولقد قام المنهج النبوي على تأسيس الصلة والصحبة والجندية كلها على المتابعة والمحبة والصدق والإخلاص.

أما تعريف الصحابي عند المحدثين فيعبر عنه الحافظ ابن كثير بأنه: مَنْ رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الراوي، وإن لم تَطُلْ صحبتهُ له، وإن لم يَرْوِ عنه شيئاً[2]، وهذا قول جمهور العلماء خلفاً وسَلفاً.

(١) انظر فتح المغيث، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، شرح ألفية الحديث للعراقي (٣/٩٢)

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ بن كثير الدمشقي (صـ ١٧٤)

وقد نصّ على أن مجرد الرؤية كافٍ في إطلاق الصُحبة: البخاري وأبو زُرعة، وغير واحدٍ ممن صنّف في أسماء الصّحابة[1].

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصحابي مشتقٌ من الصحبة، جارٍ على كل من صحب غيره قليلاً أو كثيراً، يقال: صحبه شهراً ويوماً وساعة، وهذا يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، هذا هو الأصل[2].

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ بن كثير الدمشقي (صـ١٧٤) وانظر فتح المغيث للسخاوي شرح ألفية الحديث للعراقي (٣/٩٣).

(٢) فتح المغيث للسخاوي، شرح ألفية الحديث للعراقي(٣/٩٤).

ثانيا ـ عددهم ومَنْ وصلنا خبرهم

صحب النبي ﷺ ورآه وسمع منه وتربَّى على منهجه خلق كثير، يزيدون على مائة ألف من الرجال والنساء ﭫ، ولذلك قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: «توفي رسول الله ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعاً أو رؤية»[(١)].

وقد شهد تبوك منهم ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألف صحابي، وكانوا في حجة الوداع مد البصر في الاتجاهات كلها.

قال الشافعي رحمه الله: «كانوا ثلاثين ألفاً في المدينة وثلاثين ألفاً في سواها»، وروي عن معاذ ﭬ أنهم ثلاثون ألفاً.

غير أن من وصلنا خبرهم وعرفنا أسماءهم لا يبلغون ذلك كله، فهم كما في الإصابة اثنا عشر ألفاً ومائتان وسبعة وتسعون صحابياً.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٢).

ورواة الحديث منهم عن النبي ﷺ عند الحاكم أربعة آلاف صحابي، وعند الذهبي ألفان، وفي مسند أحمد تسعمائة وثمانون صحابياً[(١)].

وعند إحصاء الصحابة الذين رووا أحاديث الصحيحين ـ حسبما ذكره الميمني ـ وجدناهم لا يزيدون عن مائتين وثمانية وعشرين صحابياً وصحابية[(٢)].

وقد ذهب الإمام ابن حجر العسقلاني إلى أن السبب في خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع[(٣)]، ومن المعلوم أنه لم يكن حينئذٍ اهتمام بتدوين غير القرآن الكريم، ثم من بعد ذلك كان تدوين السنة، ولم يكن يومئذٍ سجلٌ عام يجمع أسماءهم، ويدل على ذلك حديث كعب بن مالك ﭬ في غزوة تبوك[(٤)].

---

(١) البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (٥/٣٦٥).

(٢) انظر الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ليحيى بن أبي بكر اليمني الشهير بالعامري.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٣)

(٤) صحيح البخاري (٤/٢١٢٥)

ثالثاً ـ الصحابة وتفاضل درجاتهم

ذكر الله ـ تعالى ذكره ـ في كتابه الكريم، عدالتهم وفضلهم وعلو شأنهم ورضا الرحمن عنهم، ثم جاءت السنة النبوية تؤكد عدالتهم وفضلهم، ومن ذلك:

أولا ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

فقد رضي الله تعالى عن السابقين الأولين من الصحابة مهاجرين وأنصاراً ومن اتبعهم بإحسان ممن تلا الأولين السابقين من الصحابة، وإنما يفوز برضوان الله سبحانه وتعالى ومغفرته الغامرة عباده المخلصون، ويؤكد ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ﴾[2].

(١) سورة التوبة (١٠٠).

(٢) سورة التوبة (٩٦).

ثانيا ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَـٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[1].

وإن كانت درجاتهم متفاوتة في الفضل، لكنه لا يلزم من هذا التفاوت انتقاص أحدهم أو تجريحه، ومع ثبوت الفضل لهم جميعاً يبقى لأهل السبق والإحسان مقامهم بما يتضمنه من مزيد فضل[2].

فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، متقدمون في السبق والفضل على من سواهم.

ومن أنفق وقاتل من قبل الفتح أعظم فضلاً وأعلى درجة ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل، ولكن كلهم محسنون موعودون بالحسنى وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَـٰتَلَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة الفتح (١٨).

(٢) انظر في تفصيل فضلهم وفضائلهم: فتح المغيث للسخاوي شرح ألفية الحديث للعراقي (٣/١١٠).

أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[1].

وأهل بدر مقدَّمون على من سواهم في الفضل والجهاد والسبق، يقول عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[2].

وقد قال رسول الله ﷺ في البدريين: (وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[3].

وأهل بيعة الرضوان كذلك مقدَّمون في الفضل والدرجة، وفيهم يقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾.

(١) سورة الحديد (١٠).

(٢) سورة آل عمران (١٢٣).

(٣) صحيح البخاري (٣/١٠٩٥) صحيح مسلم (٤/١٩٤١).

رابعاً ـ صفتهم المبشّر بها في الكتب السابقة

أولاً ـ وُصف أصحاب النبيﷺ في الكتب السماوية السابقة ـ كالتوراة والإنجيل ـ على أفضل ما يوصف به المؤمن، فجاءت صفتهم بأنهم أشدّاء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم ركعٌ سجّدٌ، وأنهم يبتغون فضل الله رضوانه، وأن سيماهم في وجوههم من أثر السجود ـ وهذا كله قطعاً فيهم ـ وقد أخبر سبحانه عن ذلك، فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[1].

ثانياً ـ ومن صفاتهم المكتوبة فيها: أنهم عظّموا رسول الله ﷺ ونصروه واتّبعوه واتّبعوا تعاليمه وسننه وهديه وأحكام

(١) سورة الفتح (٢٩).

كتابه الذي أنزل عليه والسنن التي أنزلت معه، فوعدهم الله بذلك الرحمة الواسعة والخير والحسنى، وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك في القران الكريم، فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) الأعراف (١٥٦، ١٥٧).

خامساً ـ صفتهم في القرآن الكريم

أما صفتهم في القرآن الكريم، فالقرآن مليءٌ بفضلهم وخلقهم وأدبهم وشجاعتهم وصدقهم وعلوّ شأنهم وعظيم مكانتهم.

أولاً ـ قال تعالى في بيان علو قصدهم ونقاء سريرتهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَـٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ﴾[1].

ثانياً ـ ويقول عز وجل في صدقهم وثباتهم على الحق والإيمان والمبدأ ونبيل خلقهم ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[2].

ثالثاً ـ ويقول رب العزّة عن حالهم وصفاتهم في المواقع

(١) سورة الحشر (٨).

(٢) سورة الأحزاب (٢٣).

التي شهدوها وثبتوا عندها:

ـ ففي واقعة الأحزاب يذكرهم بصدق العهد ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1].

ـ وفي أُحُد قال عنهم، يذكر تجاوزه عما بدر من تقصير بعضهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[2].

ـ وفي حُنَين ذكر إكرامه لهم فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[3].

ـ وفي تبوك يذكّرهم مَنَّه عليهم بالتوبة لإتباعهم النبي ﷺ في ساعة العسرة، فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ

(١) سورة الأحزاب (٢٣).
(٢) سورة آل عمران (١٥٥).
(٣) سورة التوبة (٢٦)..

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

رابعاً ـ ووصفهم القرآن بالإيثار في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]، فهذه الآية ذكرت الأنصار نصاً، وشملت المهاجرين عند اقترانها بقوله جل جلاله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وفي مناسبة نزولها تبين لنا القصة التالية أخلاق الأنصار الذين نزلت فيهم نصاً، فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت: مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: (من يضيف هذا الليلة رحمه الله) فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك

(١) سورة التوبة (١١٧).
(٢) سورة الحشر (٩).

شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيءٍ فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١].

ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن مسكيناً سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا شاةً وكفنها، فدعتني عائشة فقالت: «كلي من هذا فهذا خير من قرصك»[٢]، فهذا من المال الرابح، والفعل الزاكي عند الله

(١) صحيح مسلم (٣/١٦٢٤)..

(٢) الموطأ (٢/٩٩٧) ومعنى شاة وكفنها: نوع من طعام العرب، كانوا يأتون إلى الشاة أو الخروف، إذا سلخوه غطوه كله بعجين البر، وكفنوه ثم علقوه في التنور، فلا يخرج من ودكه شيء إلا في ذلك =

تعالى، يُعجّل منه ما يشاء، ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه، ومن ترك شيئاً لم يجد فقده، وعائشة رضي الله تعالى عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة، وأن من فعل ذلك فقد وُقِيَ شح نفسه، وقد أفلح فلاحاً لا خسارة بعده[١].

خامساً ـ وذكر بعضهم بالاسم، وهو زيد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٢].

سادساً ـ وذكر بعضهم بالكناية عنهم وصفتهم:

ـ كأبي بكر رضي الله عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٣]، وكما في قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ

= الكفن، وذلك من طيب الطعام عندهم.

(١) تفسير القرطبي (١٨/٢٦).

(٢) سورة الأحزاب (٣٧).

(٣) سورة الليل (١٧، ٢١).

وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(١)، وكما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٢).

- وكعليّ رضي الله عنه، وغيره ممن يشملهم قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾(٣).

- وكصهيب رضي الله عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٤).

سابعاً - ويدخل في جملة الممدوحين بالصفات الحسنة المهاجرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ

---

(١) سورة الزمر (٣٣).

(٢) سورة التوبة (٤٠)

(٣) سورة الإنسان (٨، ١٠)..

(٤) سورة البقرة (٢٠٧)..

وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١).

- وهكذا الأنصار، وفيهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الحشر (٨).

(٢) سورة الحشر (٩)..

سادساً ـ الاختيار الإلهي للصحبة

كما أنّ النبوة اصطفاء واختيار؛ فكذلك صحبة الأنبياء اصطفاء واختيار، وهذه حقيقة بدهية لا تحتاج إلى برهان أو استدلال، ولكن يستأنس في ذلك بما رواه ابن أبي عاصم في السنة، والحميدي عن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل)[1].

وروى البزار في مسنده بسند رجاله موثوقون من حديث سعيد بن المسيب عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٣/٧٣٢) والطبراني في الأوسط (١/١٤٤) والسنة، لابن أبي عاصم عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (٢/٤٨٣) وانظر إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٤/١٣٨).

والمرسلين)[1]، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه»[2].

- وروي عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[3]، قوله: «هم أصحاب محمد ﷺ»[4].

- وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[5]، قال غير واحدٍ من السلف، هم أصحاب محمد ﷺ، قال ابن القيم: «ولا ريب أنهم أئمة

(١) قال عنه الحافظ ابن حجر: «رواه البزار في مسنده بسند رجاله موثّقون»، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٤/١٣٨).

(٣) سورة النمل (٥٩).

(٤) إعلام الموقعين، لابن القيم (٤/١٣١).

(٥) سورة التوبة (١١٩).

الصادقين، وكل صادق بعدهم، فبهم يأتم في صدقه»[1].

- وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[2] يدل على أن كل واحد من الصحابة منيب إلى الله، والدليل على أنهم منيبون إلى الله تعالى أن الله تعالى قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[3].

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٤/١٣٢).
(٢) سورة لقمان (١٥).
(٣) سورة الشورى (١٣).

سابعاً - فضيلة صحبة النبي ﷺ والفوز برؤيته

ومن منحه الله تعالى هذه الصحبة الشريفة فهو أفضل ممن جاء بعده على الإطلاق، وذلك لوجوه:

أولها: مشاهدة النبي ﷺ ورؤيته.

ثانيها: فضيلة السبق إلى الإسلام والتفقه في الدين.

ثالثها: ضبطهم الشريعة وحفظهم عن رسول الله ﷺ.

رابعها: تبليغهم إياها إلى من بعدهم.

خامسها: الهجرة معه أو إليه أو النصرة له.

سادسها: الذب عن حضرته ﷺ.

سابعها: أن كل فضل وخير وعلم وجهاد ومعروف عمل به في هذه الشريعة إلى يوم القيامة فحظّهم منه أجلّ، ونوالهم منه أجزل، لأنهم سنّوا سنن الخير، وفتحوا أبواب الخير، ونقلوا معالم الدين وتفاصيل الشريعة لمن بعدهم.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «هم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به عليهم، وآراؤهم لنا

أحمد وأولى بنا من رأينا»[1].

وقد قال النبي ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ)[2].

وفي رواية (فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)[3]

وقال ﷺ: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)[4].

فهم مسهمون لجميع هذه الأمة في كل أجرٍ يحصل لها

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١٢٢/٤).
(٢) صحيح مسلم (٧٠٥/٢) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٢٣٣٧ - ٣٩/٢) وابن ماجه برقم (٢٠٣، ٧٤/١، ٧٥) والدارمي (١٤٠/١) وابن حبان في صحيحه (١٠١/٨) وابن خزيمة في صحيحه: (١١٢/٤) والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٥٢١ - ١٧٥/٤).
(٣) الطبراني في الأوسط (٣٨٤/٨)واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥١/١).
(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٠٦، ١٧٥/١) والدارمي باب من رخص في كتابة العلم (١٤١/١).

إلى يوم القيامة، مع ما اختصّوا به مما تقدّم ذكره[1].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: «صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ فقلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا قال: مازلتم ها هنا، فقلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم وأصبتم) ورفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)»[2].

فالحديث يجعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، وهذا التشبيه يجعل اهتداء الأمة بهم هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ، ونظير اهتداء

(١) انظر تحقيق منيف الرتبة، للعلائي (ص٨٦، ٨٧).
(٢) رواه مسلم في بيان فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (١٩٦١/٤)،. واحمد في مسنده (٣٩٩/٤)

أهل الأرض بالنجوم، وأيضاً فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنةً لهم وحرزاً من الشر وأسبابه[1].

وبين ذلك عملياً في ظهور نصرة الإسلام مادام الناس يتأسون بالصحابة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: أفيكم من صاحب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم. فيفتح لهم)[2].

فحقّ أن يُتأسى بهم وأن يُتَّخَذوا أسوة حسنة ممن جاءوا من بعدهم، وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله يقول ابن مسعود ﷺ: «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول

(١) انظر إعلام الموقعين، لابن القيم (١٣٧/٤).

(٢) صحيح البخاري (١٠٦١/٣) صحيح مسلم (١٩٦٢/٤).

الله ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

وفي رواية عنه أيضاً: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم»[2] رضي الله عنهم أجمعين.

هذا وقد أفاض الإمام الشاطبي[3] في شرحه لأدلة السنة عند المسألة التاسعة حيث تحدث عن سنة الصحابة رضي الله

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٤/٣ ح رقم ١٢٤٤١).

(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (صـ ٣١٧).

(٣) انظر الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي (٩١٨/٤).

عنهم، فبين أنها سُنَّة يعمل عليها ويرجع إليها، وأقام الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة الفقه، ومن ذلك:

الأول: ثناء الله عليهم، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقاً، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.

ولا يقال: إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم، لأننا نقول:

(أولاً): ليس كذلك؛ بناء على أنهم المخاطبون على

(١) سورة آل عمران (١١٠).

(٢) سورة البقرة (١٤٣).

الخصوص، ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

(ثانياً): على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول ﷺ، وهم المباشرون للوحي.

(ثالثاً): أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وُصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم، فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح.

وأيضاً، فإن مَن بعد الصحابة من أهل السنة عدّلوا الصحابة على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية.

والثاني: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الإتباع كسنة النبي ﷺ، كقوله ﷺ: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[1].

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (١٧٤/١) سنن الترمذي (٤٤/٥) سنن أبي داود (٢٠٠/٤) سنن ابن ماجة (١٥/١). صحيح ابن حبان (١٧٩/١)

والثالث: أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة.

وأيضاً فقد وصفهم السلف الصالح ووصف متابعتهم بما لابد من ذكر بعضه:

- فَعَنْ سعيد بن جبير - التابعي الجليل - أنه قال: «ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين».

- وعن الحسن البصري - التابعي الجليل - وقد ذُكِرَ أصحاب محمد ﷺ قال: «إنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الصراط المستقيم».

- وعن إبراهيم النخعي قال: «لم يدخر لكم شيء خبئ عن القوم لفضل عندكم».

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه كان يقول: «اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً».

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

- وقال علي رضي الله عنه: «إياكم والاستنان بالرجال»، ثم قال: «فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء».

- ومن ذلك قول عمر بن عبد العزيز: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً».

وفي رواية بعد قوله ـ وقوة على دين الله ـ: «ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي خالفها، من اهتدى بها مهتد». وكان مالك يعجبه كلامه جداً [1].

– وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «اتبعوا آثارنا، فإن أصبتم فقد سبقتم سبقاً بيناً، وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالاً بعيدا».

– وعن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه فقال: «اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

الرابع: ما جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم وذم من أبغضهم، وأن من أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ.

فالصحابة رضي الله عنهم هم حملة القرآن، وسادة الأمة، وأشرافها الذين خلد القرآن ذكرهم، صحبوا النبي ﷺ، وتأدبوا به، فزكاهم حتى صاروا بهذه الصحبة في نعيمٍ متصل، ونصروه ﷺ بأموالهم وأنفسهم.. وكانوا يجتمعون حوله في كل صلاة، وكل يوم، ومن بعد مقره عن المسجد النبوي أرسل

(١) انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/٤٥).

بمن يأتيه بخبر الوحي من مجلسه [1].

– إنهم الذين نشروا الإسلام ومشوا به بين الناس ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [2]، ويجاهدون في سبيل الله، ويفتحون الأمصار لإعلاء كلمة الله جل جلاله.

– كان منهم رضي الله عنهم الخلفاء الراشدون الذين بلغوا الرشد بإيمانهم، وعلمهم، وعملهم، وتقواهم، وجهادهم، وصبرهم، وشكرهم.

– وكان منهم رضي الله عنهم العشرة المبشرون بالجنة، بسبقهم، وجهادهم، وإخلاصهم، وطول الصحبة.

– وكان منهم رضي الله عنهم أهل بدر، الذين انتصروا لله

(١) كما في قول عمر رضي الله عنه: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..» رواه البخاري (١/٤٦) ومسلم (٢/١١١٢).

(٢) سورة الأحزاب (٣٩).

فنصرهم على قلتهم وضعفهم.

- ثم كان منهم رضي الله عنهم أهل بيعة الرضوان أهل الثبات على الحق، والرسوخ فيه.

- إنهم النماذج المحتذاة في صوم الهواجر، ومكابدة الليل، وجهاد النفس، واقتحام الأخطار، ومواجهة الشدائد ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[١].

- إنهم فقهاء الأمة ومعلموها.

- إنهم الذين استقر في قلوبهم الإيمان واليقين والتوكل.

- إنهم نتاج التربية النبوية.

---

(١) سورة الأحزاب (٢١، ٢٣).

ولهذا فإنه لما قام الإمام مالك رحمه الله تعالى في هذا المعنى بالنسبة إلى الصحابة أو من اهتدى بهديهم واستن بسنتهم حق القيام جعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره ويقتدون بأفعاله، ببركة إتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة لمن يأتي بعدهم ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

---

(١) سورة المجادلة (٢٢).

ثامناً ـ تحقيق عدالة الصحابة رضي الله عنهم

وردت أحاديث عظيمة بشأن الصحابة رضوان الله عليهم، تقرر عدالتهم، وتقطع بها، وتؤكدها، ومن ذلك:

أولاً: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

وما أحسن ما استدل به ابن حبان على عدالة الصحابة وفضلهم رضي الله عنهم من قولهﷺ: (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع (٣٧/١، ٥٢ ح رقم ١٠٥، ٦٧). وفي الحج في باب الخطبة أيام منى (٦٢٠/٢ ح رقم ١٦٥٤) وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها (٩٨٧/٢ ح رقم ٤٤٦) والترمذي في كتاب الحج باب ما جاء في حرمة مكة (١٧٣/٣ ح رقم ٨٠٩) =

ووجه الدلالة أنه من «أعظم الدليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف، أو كان فيهم أحد غير عدل، لاستُثْني في قوله ﷺ وقال: (ألا ليبلغ فلان وفلان منكم الغائب)، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بتبليغ من بعدهم، دلّ ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدّله رسول الله ﷺ شرفاً»[1].

ولأجل هذه العدالة، فإن من آمن به ثم ارتد ولم يعد إلى الإسلام فليس بصحابيٍّ اتفاقاً كعبيد الله بن جحش، ومقيس بن صبابة، وابن الأخطل[2].

ثانياً: وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي،

= والنسائي في المناسك، باب تحريم القتال فيه (٢٠٥/٥ ح رقم ٢٨٧٤) وابن ماجة في المقدمة، باب من بلغ علماً (٨٥/١ ح رقم ٢٣٣).

(١) صحيح ابن حبان (١٦٢/١).

(٢) انظر فتح المغيث، للسخاوي شرح ألفية الحديث (٩٩/٣)

فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه))»[1].

ومن الدلالات البينة لهذا الحديث:

يدل هذا الحديث على عظيم فضل الصحابة جميعاً، إذ مع ثبوت شرف الصحبة لخالد ﷺ وامتيازه بصفة (سيف الله)[2]، لكن ابن عوف ﷺ يسبقه في الفضل وشرف الصحبة، وإذا شمل النهي واحداً منهم فهو يعم من بعدهم بالضرورة، ومن باب أولى.

وإذا كان ابن عوف ﷺ قد نال شرف الصحبة الخاصة بسبقه وفضائله وجهاده، وكونه أحد العشرة المبشرين

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ح رقم ٣٤٧) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (١٩٦٧/٤ ح رقم ٢٢٢) وأبو داود في كتاب السنة باب النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ (٤٥/٥ ح رقم ٤٦٥٨) والترمذي في المناقب (٦٥٣/٥ ح رقم ٣٨٦١).

(٢) انظر تسميته بذلك على لسان النبي ﷺ في البخاري (١٥٥٣/٤).

بالجنة، فالخلفاء الراشدون يشاركونه ويسبقونه، ولهذا يجب على كل مسلم أن يهتدي بالهدي النبوي نحو عامة الناس فضلاً عن خاصتهم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[1]، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وإذا كان رسول الله ﷺ لم يقبل من بعض أصحابه انتقاصاً لأهل السبق فهو بالضرورة لا يرضى لأحد من المتأخرين تطاولهم على واحدٍ من صحابته، فكيف لو كان أحد الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين بالجنة؟!.

وقد قدر الله سبحانه وتعالى أن يجمع بين رسول الله ﷺ وخلفائه الأربعة الراشدين على الحب في الله سبحانه وتعالى، والإخاء فيه، وصدق الصحبة، ثم المصاهرة الشريفة، فرسول الله ﷺ متزوج من أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (لو كنت

(١) صحيح البخاري (٢٢٤٠/٥) صحيح مسلم (٦٨/١).

(٢) سورة النور (٦٣).

متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً)[1].

ورسول الله ﷺ متزوجٌ من أم المؤمنين حفصة بنت عمر الفاروق، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (وقد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)[2]. ومعنى قوله: محدثون أي ملهمون.

وأما أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فهو ذو النورين زوج رقية، ثم أم كلثوم رضي الله عنهما بنتي رسول ﷺ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ - وقد جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: (ما ضرَّ

(١) صحيح البخاري (٢٤٧٨/٦) صحيح مسلم (١٨٥٥/٤) وقد روياه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري: ١٢٧٩/٣، صحيح مسلم (١٨٦٤/٤) وقد روياه عن عائشة رضي الله عنها.

عثمان ما عمل بعد هذا اليوم) قالها مراراً[1].

وأما أمير المؤمنين علي فهو زوج بنت رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها أم الحسنين، سبطي رسول الله ﷺ، اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة..)[2]، وقال فيهما ﷺ: (هما ريحانتاي من الدنيا)[3]، وقد قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)[4].

وما أعظمها شهادة في فضل هؤلاء الصحابة الذين سماهم باسمهم رسول الله ﷺ، وذكر ما عُرِفُوا به من فضائل كما في حديثه ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأفرضهم

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (١١٠/٣) سنن الترمذي (٦٢٦/٥) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح ابن حبان (٤١٢/١٥) سنن الترمذي (٦٥٦/٥).

(٣) صحيح البخاري (١٣٧١/٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح البخاري (١٣٥١/٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

زيد بن ثابت، وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[١].

ولذلك قال العلماء بعدالتهم كلهم، ولم يخالف في ذلك إلا من شَذّ من أهل الأهواء والبدع، وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «اتفق أهل السنّة على أن الجميع - أي من الصحابة - عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»[٢].

وعقد الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية فصلاً نفيساً في ذلك، فقال:

«والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نصّ القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم - مع

(١) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٦/٢٢٦) سنن ابن ماجة (١/٥٥) سنن الترمذي (٥/٦٦٤) وصححه، وهو في صحيح الجامع الصغير رقم (٩٠٨) وصححه محقق مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للزرقاني (صـ٥٤)

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١/١٠).

تعديل الله لهم وهو المطلع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك، ورفع أقدارهم عنده، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله ﷺ فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكّيْن الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتدّ بقوله من الفقهاء»[١] اهـ.

ولا تعني عدالتهم أنهم معصومون عن الخطأ، لكنهم سلموا من الفسوق والكذب على الله عز وجل، ورسوله ﷺ، ومن وقع منهم في الخطأ وسعته رحمة الله ومغفرته

(١) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي (صـ٩٦)، وذكر نحوه مختصراً ابن حجر في كتابه : الإصابة في تمييز الصحابة (١/١٠).

وتوبته عليهم.

وقال رحمه الله في موضع آخر: «كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ، لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نصّ القرآن»[١].

وقال ابن الصلاح رحمه الله: «للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحدٍ منهم، بل ذلك مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتدّ به في الإجماع من الأمة.. ثم لأن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم، وذلك بإجماع العلماء الذين يُعتدّ بهم في الإجماع، إحساناً للظنّ بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم في المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة

(١) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي (صـ ٩٣).

الشريعة، والله أعلم»[١] اهـ.

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل وثناء رسول الله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منها»[٢] اهـ.

وقال في موضع آخر: «كفينا البحث عن أحوالهم، لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول..»[٣].

وقال أبو محمد ابن حزم رحمه الله: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) علوم الحديث، لابن الصلاح (صـ ٢٦٤).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١/٣)

(٣)المصدر السابق (١/٩).

سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1].

فثبت أن جميعهم من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحدٌ منهم النار»[2].

وقال النووي رحمه الله: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتنة وغيرهم بإجماع من يُعتدّ به»[3].

ويقول إمام الحرمين معللاً انعقاد الإجماع على عدالة الصحابة: «ولعل السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله؛ أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ، ولما استرسلت سائر الأعصار»[4].

وقد قرر الحافظ ابن كثير أنَّ الصحابة كلهم عدول عند

(١) سورة الأنبياء (١٠١).

(٢) الصواعق المحرقة (صـ ٣١٨).

(٣) التقريب والتيسير(صـ ٩٢).

(٤) البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٦٣٢/١)

أهل السنة والجماعة، وأنه لم يخالف في ذلك إلا أهل الأهواء والتحزُّب الذميم، ذلك أن الله تعالى أثنى عليهم في كتابه العزيز، ونطقت السنة النبوية بالمدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، ولما بذلوه من الأموال والأرواح بين يَدَيْ رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل، ولما عُلم من امتثالهم من أوامره بعده ﷺ، وفتحهم الأقاليم والآفاق، وتبليغهم عنه ﷺ الكتاب والسنة، وهدايتهم الناس إلى طريق الجنة، ومواظبتهم على الصلوات والزكوات وأنواع القربات في سائر الأحيان والأوقات، مع الشجاعة والبراعة، والكرم والإيثار، والأخلاق الجميلة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة، ولا يكون أحد بعدهم مثلهم في ذلك، فرضي الله عنهم أجمعين[1].

ونقل الزركشي عن بعض أهل العلم، أنه قال: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، وإنما المراد قبول رواياتهم

(١) انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير (صـ ١٧٤).

من غير تكلفٍ عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إلا أن يثبت عليه ارتكاب قادحٍ، ولم يثبت ذلك والحمد لله، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السيرة، فإنه لا يصح، وإن صحّ فله تأويل صحيح[1].

وقد قرر ذلك ابن أبي العز الحنفي، فقال: «ونحب أصحاب رسول الله، ولا نفرّط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[2].

وقد ظهر فضلهم في جمع القرآن حفظاً، وتديناً، وعملاً به، ونقلاً له، وتبليغاً لمن بعدهم به حرفاً حرفاً، وكانوا حملة العلم العدول عن رسول الله ﷺ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأقاموا المنهاج النبوي

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٤/٣٠٠).

(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (صـ ٤٦٧).

في الخلافة الراشدة، وجاهدوا، وانتقلوا في الأمصار مبلغين.

تاسعاً ـ تحقيق المقال في نفي صفة الفسق

عن صحابي جليل

أما ما نُسِبَ إلى الوليد بن عقبة ﷺ من أن موقفه من بني المصطلق كان سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]، فإن الحديث المشار إليه لم يكن سبباً في نزول الآية؛ إذ أن الوليد لم يزد على كونه توهم فأخطأ في تقديره وظنه أن بني المصطلق خرجوا لملاقاته وقتاله فأخبر بذلك..، وذلك لا يسمى فسقاً في لغة القرآن الكريم، ولذلك فلعله يكون مناسباً للمقام أن تكون هذه الدراسة اللغوية المعجمية لمادة «فسق» مع ذكر الأمثلة عليها من القرآن الكريم:

الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق وهو الخروج عن الطاعة، تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرتها

(١) سورة الحجرات (٦).

إذا خرجت[1].

وفسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت، وفسق فلان في الدنيا فسقاً: اتسع فيها ولم يضيقها على نفسه، وفسق فلان ماله: إذا أهلكه وأنفقه، ومنه يمكن إخراج معنى المادة الذي أكسبه إيّاها الإسلام، فقد نقل أنه لم يسمع قط في كلام الجاهلية في شعر ولا نثر لفظ فاسق، وجاء الشرع بأن الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى، وعدت الكلمة من الألفاظ الإسلامية التي نقلت عن موضعها إلى موضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، وهو مثل من التطور اللغوي لدلالة الكلمات، والمصدر: الفِسق، والفسوق.

وبهذا المعنى الإسلامي للفسق استعمل في القرآن مقابلاً للإيمان، كفراً: ﴿وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[2]

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (مادة فسق).

(٢) سورة البقرة (٩٩).

ونفاقاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1] وضلالاً: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[2]، وعلى أنواع من العصيان، وبهذا كان الفسق أعمّ من الكفر.

وقد ورد منه المصدر، والماضي والمضارع، والوصف منفرداً وجمعاً، في مواضع عدة في القرآن الكريم[3].

وقد أجاد الإمام الرازي في تفسيره الكبير فقدم تفسيراً واضحاً لهذه الآية نفى فيه عن الصحابي ﷺ صفة الفسق، حيث قال: وهذا جيد إن قالوا بأن الآية نزلت في ذلك الوقت، وأما إن قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصراً عليه ومتعدياً إلى غيره فلا، بل نقول هو نزل عاماً لبيان التثبيت، وترك الاعتماد إلى قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، أن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي ﷺ لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك

(١) سورة التوبة (٦٧).

(٢) سورة الحديد (٢٦).

(٣) مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم.

فحسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك، ويتأكد ما ذكرنا إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد[1]، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج من ربقة الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾[4] إلى غير ذلك[5].

وأهل الفقه في الدين من العلماء الأثبات يرون أنه: ليس في الآية ما يقتضي وصف الوليد بن عقبة ﷺ بالفاسق

(١) لعل الصواب في العبارة: ويتأكد بما ذكرنا أنّ إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد.

(٢) سورة المنافقون (٦).

(٣) سورة الكهف (٥٠).

(٤) سورة السجدة (٢٠).

(٥)) التفسير الكبير والمسمى بمفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (م١٤-٢٧/١٠٣).

تصريحاً ولا تلويحاً، وقد اتفق المفسرون على أن الوليد ظنّ، وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمّد الكذب.

يقول الإمام أبو بكر بن العربي: وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ فإنها - في قولهم - نزلت فيه، أرسله النبي ﷺ إلى بني المصطلق، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد فتثبّت في أمرهم فبيَّن بطلان قوله[1].

ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب في تحقيقه لكتاب العواصم من القواصم: «كنت فيما مضى أعجب كيف تكون هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة، ويسميه الله فاسقاً، ثم تبقى له في نفس خليفتي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر المكانة التي سجلها له التاريخ، إن هذا التناقض - بين ثقة أبي بكر وعمر بالوليد بن عقبة، وبين ما كان ينبغي أن

(١) العواصم من القواصم في تحقيق الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، للإمام القاضي أبو بكر بن عربي (صـ ٩٠).

يعامل به لو كان الله سماه فاسقاً - حملني على الشك في أن تكون الآية نزلت فيه، لا استبعاداً لوقوع أمر من الوليد يُعدُّ به فاسقاً، ولكن استبعاداً لأن يكون الموصومُ بالفسق في صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف في أولياء الله عز وجل بعد رسول الله ﷺ من هو أقرب إلى الله منهما، وبعد أن ساورني هذا الشك أعدت النظر في الأخبار التي وردت عن سبب نزول الآية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ...﴾، فلما عكفت على دراستها، وجدتها موقوفة على مجاهد، أو قتادة، أو ابن أبي ليلى أو زيد بن رومان، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار في مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة، وإن الذين لهم هوى في تسويىء سمعة مثل الوليد، ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية، ومادام رواة تلك الأخبار في سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم، وعلماء

الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التي لا نسب لها، وترتيب الأحكام عليها».

ويمضي في بيانه فيقول: «فكل هذه الأخبار من أولها إلى آخرها لا يجوز أن يؤخذ بها مجاهد كان موضع ثقة أبي بكر وعمر، وقام بخدمات للإسلام يرجى له بها أعظم المثوبة إن شاء الله تعالى، أضف إلى كل ما تقدم أنه في الوقت الذي حدثت فيه لبني المصطلق الحادثة التي نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن»[1].

ويختتم بيانه القوي بقوله: «فإذا تقرر عندك أن جميع الأخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة في سبب نزول آية ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ...﴾ لا يجوز علمياً أن يبنى عليها حكم شرعي أو تاريخي، وإذا أضفت إلى ذلك حديث مسند الإمام أحمد عن سن الوليد في سنة الفتح، يتبين لك بعد ذلك

(١) حاشية تحقيق كتاب العواصم من القواصم، لمحب الدين الخطيب (صـ ٩٢).

حكمة استعمال أبي بكر وعمر للوليد وثقتهما به واعتمادهما عليه مع أنه كان لا يزال في صدر شبابه»[1].

ومع ما يثبت للوليد ﷺ من هذه المآثر كلها، فقد استطاع الخصوم السياسيون والمذهبيون أن يشوشوا عليه بما سوَّدوا من صحائف وساقوا من روايات، وفي تأكيد الحقيقة في ذلك نقرأ أيضاً لمحقق كتاب العواصم من القواصم قوله: «أما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم، الذي كان منه لأمته كل ما استطاعه من عمل طيب، ثم رأى بعينه كيف يبغي المبطلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان في ضيعة منقطعة عن صخب المجتمع، وهي تبعد خمسة عشر ميلاً عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التي كان يجاهد فيها ويدعو نصاراها إلى الإسلام في خلافة عمر ﷺ، فقد آن لدسائس الكذابين فيه أن ينكشف عنها عوارها، ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرناً، فإن الحق قديم، ولا يؤثر في قدمه

(١) المصدر السابق (صـ ٩٣).

احتجابه، أراد الوليد بن عقبة - منذ ولي الكوفة لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه - أن يكون الحاكم المثالي في العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس، كما كان المحارب المثالي في جهاده وقيامه للإسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته، الحاملين لرايته الناشرين لرسالته. وقد لبث في إمارته على الكوفة خمس سنوات، وداره - إلى اليوم الذي زايل فيه الكوفة - ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف، فكان يغشاها كل من شاء، متى شاء، من ليل أو نهار، ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس.. وكان ينبغي أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب، لأنه أقام لغربائهم دور ضيافة، وأدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم المال.. ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم، وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالي طول مدة حكمه، إلا أن فريقاً من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد، فوقفوا حياتهم

على ترصد الأذى له»[١].

أما عن اتهامه بشرب الخمر، فإن خصومه استطاعوا تلفيق هذه التهمة عليه، وزادوا عليها أنه صلى بهم مخموراً، وأراد أن يزيد لهم في الصلاة، وجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان رضي الله عنه، وأخبره خبره، فقال عثمان رضي الله عنه: «نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار».

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر - كما في حوادث سنة ٣٠هـ - من تاريخ الطبري، وليس فيها - على تعدد مصادرها القديمة - شيء غير ذلك، وعناصر الخبر عند الطبري أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه، ولم يرد في الشهادة ذكر الصلاة من أصلها، فضلاً عَنْ أن تكون اثنتين أو أربع، وزيادة ذكر الصلاة هي الأخرى أمرها عجيب، فشهد عليه رجلان أحدهما أنه شرب الخمر، وشهِدْ آخر أنه رآه يتقيأ، فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين

(١) المصدر السابق (صـ ٩٥).

وقال أزيدكم، بل شهد أحدهم بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقيأ.

أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم، فهي من كلام مَنْ لم يكن من الشهود أصلاً، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، ثم إنه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف.

وعلى كل حال، فالشهود الذين شهدوا بين يدي عثمان ﵁ لم يدعوا حكاية الصلاة، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله واليوم الآخر، والآن أقولها لوجه الله صريحة مدوية: «إن الوليد لو كان من رجال التاريخ الأوربي كالقديس لويس الذي أسرناه في دار ابن لقمان بالمنصورة لعدوه قديساً، لأن لويس التاسع لم يحسن لفرنسا كإحسان الوليد بن عقبة إلى أمته، ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للإسلام، والعجب لأمة تسيء إلى أبطالها وتشوه جمال تاريخها، وتهدم أمجادها، كما يفعل الأشرار منا، ثم ينتشر

كيد الأشرار حتى يظن الأخيار أنه هو الحق»[1].

وجزى الله تعالى خير جزائه الأوفى مؤلف كتاب العواصم من القواصم ومحققه على هذا العمل العلمي الموضوعي القيّم في بيان شرف الصحابة ﵃، وذكر فضائلهم، وتحقيق عدالتهم، وتبرئتهم مما تَقَوَّله عليهم المعتدون، وعند الله تجتمع الخصوم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2].

ومع ما تقرر من أن عدالة الصحابة ﵃ تعني تأكيد أنهم صادقون فيما يحدثون عن النبي ﷺ، وأن ذلك لا يعني إدعاء العصمة لهم، وعلى تقدير صدور خطأ أو ذنب عنهم، فالتوبة تسعهم والاستغفار، وأحسن الإمام أبو بكر بن

(١) انظر حاشية تحقيق كتاب العواصم من القواصم (٩٧، ٩٩).

(٢) سورة الكهف (٤٩).

العربي إذ يقول في سياق حديثه عن عدالة الصحابة ونفي صفة الفسق عنهم: «وليست الذنوب مسقطةً للعدالة إذا وقعت منها التوبة»[١].

وقد أحسن صاحب «التحرير والتنوير» في نفي صفة الفسق عن الصحابي، واحتج لرأيه بحسن الاستدلال، ورأى أنه لو كان الوليد فاسقاً لما ترك النبي ﷺ تعنيفه واستتابته، كما كان خروج القوم للتعرض إلى الوليد بتلك الهيئة مثار ظنه حقاً، إذ لم يكن المعروف خروج القبائل لتلقي السعاة، وربما كان عملهم هذا حيلة من كبرائهم لينصرف الوليد عن الدخول في حيّهم، تعيُّراً منهم في نظر عامتهم من أن يدخل عدو لهم إلى ديارهم، ويتولى قبض صدقاتهم فتعيِّرهم أعداؤهم بذلك.

ولذلك ذهبوا بصدقاتهم بأنفسهم في رواية، أو جاءوا معتذرين قبل مجيء خالد بن الوليد إليهم في رواية أخرى.

ويؤيد هذا ما جاء في بعض روايات هذا الخبر أن الوليد:

(١) المصدر السابق (صـ ٩٤).

أعلم بخروج القوم إليه، وسمع بذلك، فلعل ذلك الإعلام موعز به إليه ليخاف فيرجع.

وقد اتفق من ترجموا للوليد بن عقبة ﷺ على أنه كان شجاعاً جواداً، وكان ذا خلق ومروءة.

وإنما تلقف هذه الأخبار الناقمون على عثمان، إذ كان من عداد مناقمهم الباطلة أن أولى الوليد بن عقبة إمارة الكوفة، فحملوا الآية على غير وجهها، وألصقوا بالوليد وصف الفاسق ـ وحاشاه منه ـ لتكون توليته الإمارة باطلة.

وعلى تسليم أن تكون الآية إشارة إلى فاسق معيّن، فلماذا لا يحمل على الذي أعلم الوليد بأن القوم خرجوا له ليصدوه عن الوصول إلى ديارهم قصداً لإرجاعه.

وهذه الآية أصل في الشهادة، والرواية، من وجوب البحث عن دخيلة من جهل حال تقواه، وهي أيضاً أصل عظيم في تصرفات ولاة الأمور، في تعامل الناس بعضهم مع بعض، من عدم الإصغاء إلى كل ما يروى ويخبر به.

ومجيء حرف ﴿إِن﴾ في هذا الشرط يومئ إلى أنه مما ينبغي أن لا يقع إلا نادراً.

والتبيّن: قوة الإبانة وهو متعد إلى مفعول بمعنى أبان، أي تأملوا وأبينوا الأمر وتدبروه غير متعجلين ليظهر لكم بيّناً واضحاً.

وإنما كان الفاسق معرض خبره للريبة، لأن الفاسق ضعيف الوازع الديني في نفسه.

وضعف الوازع يجرئه على الاستخفاف بالمحظور، وبما يخبر به في شهادة أو خبر يترتب عليهما إضرار بالغير أو بالصالح العام، ويقوي جُرأته على ذلك دوماً إذا لم يتب ويندم على ما صدر منه ويقلع عن مثله.

وتنكير ﴿فَاسِق﴾، و﴿بِنَبَإٍ﴾، في سياق الشرط يفيد العموم في الفساق بأي فسق اتصفوا، وفي الأنباء كيف كانت، كأنه قيل: أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلّبوا بيان الأمر وانكشافه.

والجهالة: تطلق ضد العلم، وضد الحلم.

﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾: على العجلة وترك التأني، وهو تحذير من الوقوع فيما يوجب الندم شرعاً، أي ما يوجب التوبة من تلك الإصابة[١].

وما أحسن ما خطّهُ يراع العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني[٢] في تحقيق عدالة الصحابة عامة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط خاصة، حيث يقول: «هذا الرجل أشد ما يُشنَّع به المعترضون على إطلاق القول بعدالة الصحابة»، فإذا نظرنا إلى روايته عن النبي ﷺ لنرى كم حديثاً روى في فضل أخيه وولي نعمته عثمان، وكم حديثاً روى في فضل نفسه ليرفع ما لحقه من الشهرة بشرب الخمر، هالنا أننا لا نجد له رواية البتة، اللهم إلا حديثاً لا يصح عنه، أخرجه أحمد وأبو داود من طريق رجل يقال له أبو موسى عبد الله

(١) انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/٢٢٨).

(٢) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني (صـ٢٧١).

الهمداني عن الوليد بن عقبة قال: «لما فتح النبي ﷺ مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، فجيء بي إليه وأنا مُطَيَّبٌ بالخَلُوق، فلم يمسح رأسي، ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمي خلَّقَتْني بالخَلُوق فلم يمسني من أجل الخَلُوق»[1].

ويضيف المعلمي اليماني، فيقول ـ وما أحسن ما قال من علمٍ وإنصاف ـ: «إن أئمة الحديث اعتمدوا فيمن يمكن التشكك في عدالته من الصحابة على الكتاب والسنة، وعلى رواية غيرهم مع ملاحظة أحوالهم وأهوائهم ـ يعني الميول السياسية ـ فلم يجدوا من ذلك ما يوجب التهمة، بل وجدوا عامة ما رووه قد رواه غيرهم من الصحابة ممن لا تتجه إليه تهمة أو جاء في الشريعة ما في معناه، أو ما يشهد لـه»[2].

---

(١) الخَلُوق : الطيب المزعفر، أي الذي فيه زعفران.

(٢) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني(صـ٢٧١).

ويُعلّق صاحب كتاب «أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال» على ما تقدم مستحسناً إياه ـ وهو مَنْ هو من أهل هذا الشأن علماً وخبرة ـ فيقول: «وأضيف إلى ذلك ما أدى بي إليه البحث، فأشهد أنه من خلال استقرائي لألوف تراجم الرواة والمرويات الضعيفة، فإنه لم يوجد حديث قط يحكم به بما يخل بهذا المبدأ عند الصحابة بصورةٍ ما»[1].

والحاصل: أنه لا تنهض لأعداء الصحابة حجة، ولا تقوى لهم شبهة في الطعن في صدق الصحابة ﷺ ولا يتعرض للطعن فيهم إلا مُخرِّب يستهدف أمرين خطيرين على الإسلام وكيان المسلمين:

الأول: زعزعة الثقة بماضي الأمة المشرق، وتخذيل النفوس عن التشمير للجد والاجتهاد في سبيل الله، والحض على إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي بطريق الطعن في الصحابة مما يبعث الجرأة على ارتكاب المحرمات.

---

(١) أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال، للدكتور نور الدين عتر (صـ ٤٣).

الثاني: التشكيك في سلامة نقل الحديث النبوي، ومن ثَمَّ التشكيك في الإسلام كله، لأنه لابد للعمل بالقرآن من الحديث النبوي[1].

وهكذا يمضي في بيانه، فيقول في تحقيق مسألة الخلافات الاجتهادية بين الصحابة:

«وأما ما قد يتوهم من أثر الخلافات السياسية التي شجرت بين الصحابة رضوان الله عليهم في الرواية، فإن التحقيق يثبت أنها لم تتجاوز موضوعها فيما بينهم، لأنها في الواقع ذات ملابسات خفية دقيقة، أدت إلى اختلاف اجتهادي كما بينا، وكما أثبته في بحوث مطولة المحققون، ولم تتعد المسألة بينهم نطاقها ولم تؤثر في الرواية في شيء قط، فهذه الأحاديث المروية عن مخالفي علي ؓ لا يوجد فيها شيء قط، خالفوا فيه غيرهم من الصحابة في أي موضوع، بل ليس فيها ما يقوي موقفهم في خلافهم مع

---

(١) أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال، للدكتور نور الدين عتر (صـ ٤٣).

الإمام علي ؓ بطريق مباشر أو غير مباشر»[1].

هذا ومذهب المحدثين أن أفضل الصحابة، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام: أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ وسمي بالصديق لمبادرته إلى تصديق الرسول ﷺ قبل الناس كلهم[2].

ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحد، ثم أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

---

(١) أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال، للدكتور نور الدين عتر (صـ ٣٧) وقد أحال المؤلف على البحوث المطولة التي عناها، وذكر في الحاشية أنها على سبيل المثال كتاب العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، وكتاب تاريخ الدولة الأموية للدكتور يوسف العش، ومنهج الحديث في علوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السماحي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/٦٥) وعبد الرزاق في مصنفه (٥/٣٢٨) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٧٣) وانظر في تفصيل تفاضل درجات الصحابة ؓ فتح المغيث للسخاوي شرح ألفية الحديث للعراقي (٣/٩٩).

وأما السابقون الأولون فقيل: هم من صلى إلى القبلتين، وقيل أهل بدر، وقيل أهل بيعة الرضوان، وقيل غير ذلك[1].

وفضل المهاجرين معلوم في الدين ومتلوٌّ في الذكر الحكيم من نحو قوله تعالى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾.

وللأنصار فضل منصوص عليه كذلك كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه، لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ كقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[2] أي وادعوا شركاءكم، ويجوز حمله على

(١) انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (صـ ١٧٤).

(٢) سورة يونس (٧١).

حذف المضاف، كأنه قال: تبوءوا الدار ومواضع الإيمان، ويجوز حمله على ما دل عليه تبوأ، كأنه قال: لزموا الدار ولزموا الإيمان فلم يفارقوهما.. والتبوء التمكن والاستقرار، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم[1]، وقد قال النبي ﷺ فيهم: (ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فو الذي نفس محمد بيده أنه لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار)[2].

(١) انظر تفسير القرطبي (٢١/١٨).

(٢) مسند أحمد (٧٦/٣).

عاشراً ـ حكم الطعن في الصحابة

من كان ذلك مقامهم، وهذا مكانهم ومكانتهم، فلا يجوز في حقهم الطعن، ولا التجريح، ولا يستحقون إلا الاستغفار لهم والترضّي عليهم، والاعتراف بفضلهم، إنزالاً لهم منازلهم، ووقوفاً منهم بما يليق بهم.

لذلك لم يُجَوِّزْ أحد ممن يُقتدى به من علمائنا الطعن في أحد من الصحابة والانتقاص منهم، والتجريح لهم، بأي وجه من وجوه الطعن أو السب أو الانتقاص أو التجريح.

قال القاضي عياض رحمه الله: «سبّ آل بيته وأزواجه وأصحابه ﷺ وتَنَقّصُهم حرامٌ، ملعون فاعله»[1].

وقد ذكر بعض أهل العلم عقوبة الطاعن، فمن ذلك ما جاء عن هشام بن عمّار عن مالك بن أنس قال: «من سبَّ أبا بكر وعمر جلد، ومن سبَّ عائشة قتل، قيل له: وَلِمَ يقتل في

(١) الشفا في التعريف بحقوق المصطفىﷺ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٢/٣٠٧).

عائشة؟، قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]»[2].

وقال أبو زرعة رحمه الله تعالى: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حقّ والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنما أدّى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

(١) سورة النور (١٧).
(٢) المحلّى، لابن حزم الظاهري (١١/٤١٥).

حادي عشر ـ حقيقة الطعن في الصحابة والتحذير منه

والطعن في الصحابة حقيقته الطعن في القرآن العظيم، إذ هم وسائطنا في نقله، فإذا طعن في عدالتهم، فممن نأخذ القرآن؟، وكيف نثق بأنه القرآن المنَزّل على النبي ﷺ.

والطعن فيهم هو في حقيقته طعنٌ في تربية الرسول ﷺ، بل في اصطفاء الله لهم، واختيارهم ليكونوا صحابة رسول الله ﷺ.

وقد حذّر النبي ﷺ من الطعن في أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أشدَّ التحذير، فقال ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه: (اللهَ اللهَ في أصْحَابي، اللهَ اللهَ في أصْحَابي، لا تَتَّخذُوهُم غَرَضاً بَعدي، فَمَن أَحبهم فبِحُبي أَحَبهُم، وَمَن أَبغَضهُم فَبِبغضي أَبغَضهُم، وَمَن آذَاهُم فَقَدْ آذاني، وَمَن آذاني فَقَد آذَى الله، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأخذَهُ)[1].

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب (ح رقم ٣٧٩٧) وحَسّنه.

فمن نال من صحابة الرسول ﷺ فهو يريد النيل من الرسول ﷺ والشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، وليس له هدف آخر غير ذلك، لأن النبي ﷺ حصر قصد الإيذاء للصحابة بذلك.

وجاء في الصحيحين وسنن الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ..) الحديث[1].

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَسبُّوا أصْحَابي، لا تَسبُّوا أصْحَابي! فَوَ الَّذي نَفسي بيَدِه لَوْ أن أَحَدكم أنْفَقَ مِثْلَ أُحدٍ ذَهَباً مَا أدرَكَ مدَّ أَحَدِهم وَلا نَصِيفَه)[2].

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب (ح رقم ٣٣٧٨) وفي كتاب الشهادات (ح رقم ٢٤٥٧، ٢٤٥٨) وفي كتاب الرقائق (ح رقم ٥٩٤٩) ومسلم في فضائل الصحابة) ح رقم ٤٦٠١) والترمذي في الفتن (ح رقم ٢١٤٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب (ح رقم ٣٣٩٧) ومسلم في فضائل الصحابة (ح رقم ٤٦١٠) والترمذي في المناقب (ح رقم ٣٧٩٦) =

وفي الحديث الصحيح يقولﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وهل من ولاية أعظم من ولاية الصحابي ؟ فليحذر من يتطاول على أصحاب رسول الله ﷺ أشدّ الحذر، أو ليؤذننه القادر القاهر الجبار بحرب من عنده، ثم لا يجد له ولياً ولا نصيراً.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: «وندين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه عليه السلام، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين، ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق، رضوان الله عليه، وإن الله أعز به الدين، وأظهره على المرتدين، وقدمه المسلمون بالإمامة، كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي

= وأبو داود في السنة (ح رقم ٤٠٣٩) وابن ماجه في المقدمة (ح رقم ١٥٧) واللفظ لمسلم.

طالب رضي الله عنه»[١].

وقرر القرافي أن من كَفَّر الصحابة جملة فهو كافر، لأن تكفيرهم يلزم منه إبطال الشريعة لأنهم أصلها وعنهم أخذت.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ، وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عمّا شجر بينهم، وندين لله أن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

كما يعبر عن موقف السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم قول الإمام أبي الحسن الأشعري: «ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة رسول الله ﷺ، ويأخذون بفضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علياً رضوان الله عليهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون،

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري (صـ ١١).

أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ»[1].

وما أحسن ما قاله الإمام علي رضي الله عنه في حق أخويه من العشرة المبشرة بالجنة رضي الله تعالى عنهم جميعاً[2]: «إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[3]».

فما أروع هذا الموقف النبيل الذي يؤكد سمو هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، فقد بلغوا الكمال في الأخوة، فأعطوها حقها من الرعاية، مع التحقق بمعانيها، والتمثل بأخلاق التغافر والاعتذار في مواطن الاجتهاد، والتعالي عن الانتقام للنفس.

---

(١) مقالات الإسلاميين، للإمام أبي الحسن الأشعري (صـ ٢٩٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/٤٢٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٧٤) وانظر طبقات ابن سعد المسماة بالطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (٣/١١٣).

(٣) سورة الحجر (٤٧).

ثاني عشر ـ الفتنة وعدم التعرض للصحابة الذين وقعوا فيها

وقد ذهب حسن الأدب مع السلف الصالح أن قرر بعض الأئمة الفقهاء إنه لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، لأنهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا به الله عز وجل، وهم كلهم أئمة، وقد تعبدنا الله تعالى بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، وذلك تقديراً لِحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، ولأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضاء عنهم، هذا مع ما قد ورد عن النبي ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً، لأن الشهادة لا تكون إلا بالقتل في طاعة، فوجب حمل أمرهم على ذلك، ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار عليّ بأنّ قَاتِلَ الزبير في النار، وقوله

رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بَشر قاتل ابن صفية بالنار)[1].

وإذا كان ذلك كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير كانا بما اشتركا فيه غير عاصيين ولا آثمين بالقتل، لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة: شهيد، ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار، وكذلك من قعد غير مخطئ في التأويل، بل كل ذلك مما ساقهم إليه الاجتهاد، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظم غنائهم في الدين رضي الله عنهم[2].

ويمضي الإمام القرطبي في بيان ما قاله أئمة الهدى، وذلك حين سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم، فقرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وإن بعضهم

(١) مسند العشرة المبشرين بالجنة، للإمام أحمد بن حنبل (صـ٦٤٣).
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/٣٢٠).
(٣) سورة البقرة (١٣٤).

سئل عنها أيضاً فقال: تلك دماء قد طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني، يعني في التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه، كما أجاب بعضهم بأن عدّ ما كان بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف معه، إذ إنهم لم يخرجوا بذلك عن حدّ الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وما أحسن ما أجاب به الحسن البصري حين سئل عن قتالهم؟ فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا.

قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منّا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق[1].

ومن أراد الله به خيراً أراه ما يبعده عن التعرض للصحابة

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/٣٢٢).

رضوان الله عليهم، وللشيخ محمد الغزالي رحمه الله في ذلك موقف طريف، يدل على أن هذه الأرواح الطاهرة يصل خطابها في الرؤى الصالحة بما يكون عبرة لأولي النهى والأبصار.

فقد روى بنفسه ـ أي الشيخ الغزالي ـ قصة رؤيا رؤيت له في موقفه الحامل على الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﵁ يقول: «استدعاني فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري إلى بيته، وقال لي: أريد أن ألقاك في أمر مهم، فذهبت إليه، وعندما جلست على المقعد القريب مني، فإذا بالشيخ الباقوري يجلسني في مقعد آخر، واعتذرت له أولاً عن غيابي عنه لأنه كان مريضاً، وكان الشلل ينال منه، فبادرني بالسؤال الآتي:

ماذا بينك وبين عمرو بن العاص؟

فاستغربت السؤال، وقلت: بيني وبين عمرو بن العاص؟! لا شيء، أنا خطيب في مسجده.

قال الشيخ الباقوري: لا، هناك شيء.

فشعرت بالدهشة، وقلت: أي شيء؟.

قال: أنا أحكي لك ما رأيت وأنت تفسّر.

قلت له: ماذا رأيت؟

قال: بينما أنا نائم إذ شعرت بطارق يقرع الباب ويقول الوالي قادم، قلت: من القادم؟ من الوالي القادم؟.

قال: عمرو بن العاص.

قال الشيخ الباقوري: فتهيأت للقاء صاحب رسول الله ﷺ، وشعرت بخفة في بدني رغم الشلل الذي كان يعاني منه — ودخل عمرو بن العاص وجلس في مكانك هذا، رجل قصير القامة، لكن في عينيه عمقاً فكأنهما محيطان. فقال لي — أي عمرو بن العاص -: أبلغ الشيخ الغزالي أنني غفرت له تطاوله عليّ، لأنه أحيا مسجدي، وهذا المسجد هو رابع مسجد في الإسلام، لأنه المسجد الذي اجتمع فيه الفاتحون الذين هزموا الرومان في مصر وأدخلوا الإسلام.

قال الشيخ الباقوري: وشعرت بشيء من الرهبة، وإذا عمرو بن العاص ينصرف، وأنا أستيقظ على صوت المؤذن للفجر، وصليت الفجر وعدت إلى النوم، وتكررت الرؤيا، فأنا استدعيتك لأعرف كيف تطاولت على عمرو، ولِمَ غفر لك؟!.

قال الشيخ الغزالي معلقاً على الرؤيا: الحقيقة عندما سمعت الرؤيا أخذتني رعدة، وشعرت بالميل للبكاء، وقلت: أنا ذهبت إلى مسجد عمرو كارهاً، وبدرت مني كلمات ضد عمرو بن العاص، لأني كنت أكره الذين حاربوا علي بن أبي طالب، ولكن الآن وبعد أن سمعت هذه الرؤيا، أنا أتوب إلى الله من ذكر أحد الصحابة بما لا يليق.. وعمرو له مكانته، ولولاه والمؤمنون معه، ما دخل الإسلام مصر، وما اعتنقت أنا الإسلام.

قال الشيخ الباقوري: على كل حال الرجل تجاوز عنك، ونوّه بأنك أحييت المسجد، بعد أن كان المسجد ميتاً.

قال الغزالي: فقلت له: يغفر الله لي ما كان، وأنا على العهد، لا أبسط لساني إلا بالخير لأصحاب

رسول الله ﷺ جميعاً[١] اهـ.

(١) الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي نشأته وسيرته الذاتية، وطرف من أمجاده في مسيرة حياته، لعبد الله المصري (صـ٥٠).

ثالث عشر - حكم الكلام فيما جرى بينهم من أمور لا تخرج عما يحدث من البشر مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان

إن ما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم من كلام واختلاف لا يعدو أن يكون اختلافاً على اجتهاد وتأويل يسوغ مثلهما في الشرع، ويجوز سلوكهما في الدين، مما لا يبيح لأحدٍ من بعدهم الطعن فيهم بأي وجه كان أو الانتقاص من مقامهم وذكر حالهم بسوء، فإنهم فيما نحسب - وهذا من حقهم علينا في حسن الظن بهم - ما اختلفوا إلا على اجتهاد في إصابة الحق، مثل الذي وقع بينهم في صلاة العصر، حين رجعوا من غزوة الأحزاب منتصرين، ونقض بنو قريظة عهدهم لرسول الله ﷺ ومالئوا المشركين في غزوة الأحزاب، يعينونهم على رسول الله ﷺ والمسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: (لا يُصَلِّيَن أحدٌ العصر إلا في بني قريظة)، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا

ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم»[١].

فكان اختلاف الرأي بينهم على اجتهاد وتأويل، وبذلك كان من صلى العصر في وقته هم سلف أهل التأويل، ومن أخرها حتى صلاها في بني قريظة هم سلف أهل الظاهر[٢].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم ويتوب عليهم، ثم رضي الله عنهم ورضوا عنه.

قال الله تعالى ذكره: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الجمعة (ح رقم ٨٩٤) وفي كتاب المغازي (ح رقم ٣٨١٠) ومسلم في كتاب الجهاد والسير (ح رقم ٣٣١٧).

(٢) قال ابن القيم في وصف ذلك: «وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس». انظر إعلام الموقعين (٢٠٣/١).

وحسبنا أن نفقه أن المخالفة بينهم وقعت بتأويل واجتهاد في الرأي، لنكفّ عن ذكر الصحابة بسوء، بل عن كل من لم يثبت خروجه من الإسلام بيقين قاطع.

يقول صاحب منهاج السنة: «إن المتأوّل الذي قَصْدُه متابعة الرسول ﷺ لا يُكَفَّر، بل ولا يُفسَّق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العلمية، وأما في مسائل العقائد، فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويُكَفِّرون من خالفهم»[1].

أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيتناول بطريقته الفقهية الأصولية موقف أهل العلم والفقه من أقوال الصحابة ﷺ ومذاهبهم فيما لو اختلف الرأي بينهم، فيقول بعد ذكر الصحابة وتعظيمهم: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع

(١) منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٥/٢٣٩).

وعقل وأمر استدرك، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا، ومن أدركنا ممن نرضى، أو حُكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنةً إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وكذلك نقول، ولم نخرج من أقوالهم كلهم.

وإذا قال الرجلان منهم في شيء قولين نظرت، فإن كان قول أحدهما أشبه بالكتاب والسنة أخذنا به، لأن معه شيئاً قوياً، فإن لم يكن على واحدٍ من القولين دلالة بما وصفت كان قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان أرجح عندنا من واحد لو خالفهم غير إمام، فإن لم يكن على القول دلالة من كتابٍ ولا سنة كان قول أبي بكر وعمر وعثمان أحب إليّ من قول غيرهم.

فإن اختلفوا صرنا إلى القول الذي عليه دلالة، وقلما يخلو اختلافهم من ذلك، وإن اختلفوا بلا دلالة نظرنا إلى الأكثر، فإن تكافؤوا نظرنا أحسن أقاويلهم مخرجاً عندنا، وإن وجدنا للمفتين في زماننا أو قبله إجماعاً في شيء تبعناه،

فإذا نزلت نازلة لم نجد فيها واحدة من هذه الأمور فليس إلا اجتهاد الرأي[١].

ومن نماذج اختلاف الرأي بينهم على اجتهاد منهم ؓ:

أولا ـ جمع القرآن في مصحفٍ واحد: حيث كان أبو بكر ؓ مخالفاً لرأي عمر ؓ في جمع القرآن في مصحف واحد في ابتداء الأمر، وكان زيد ؓ كذلك مخالفاً لهما ابتداءً[٢].

ثانياً ـ حروب الردة: فقد كان أبو بكر على رأي في نوع القوم الذين يُحاربُون، وتوقيت المحاربة، والصحابة على رأي آخر، حتى يسر الله عز وجل لأبي بكرٍ إقناعهم[٣].

ثالثاً ـ الاختلاف على أرض السواد: فقد كان عمر ؓ يرى عدم قسمة الأرض التي يغنمها المسلمون على المحاربين، وكثير من المسلمين يرى غير ذلك[٤].

---

(١) إعلام الموقعين: ١٢٢/٤، مصدر سابق.

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٧/٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٧/٢).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٣٥٢/٦) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٤).

رابعاً ـ وقد جرت من بعض الصحابة ؓ في عهد رسول الله ﷺ أمورٌ قد ينكرها عليهم من بعدهم، ولكنها لا تنال من عدالتهم، وخاصة في الرواية عن رسول الله ﷺ، وكذلك فعل النبي ﷺ مع من صدرت عنهم أخطاء فأنكرها عليهم، لكنه أبقى عدالتهم قائمة، فقد كاتب حاطب بن أبي بلتعة ؓ قريشاً يخبرهم عن مقدم النبي ﷺ ليفتح مكة، فظنه عمر ؓ منافقاً، فرد النبي ﷺ على عمر ؓ وقال: (وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[١].

خامساً ـ ولعن بعض أصحاب النبي ﷺ صحابياً أُتي به قد شرب الخمر، فمنع النبي ﷺ اللاعن، وبيّن فضل الآخر، وهو فضلٌ يدخله في دائرة القبول والرضا، فعن عمر بن الخطاب ؓ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلد،

---

(١) صحيح البخاري (١٠٩٥/٣) صحيح مسلم (١٩٤١/٤)

فقال رجل من القوم: اللهم ألعنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: (لا تلعنوه، فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)[1].

---

(١) صحيح البخاري (٦/٢٤٨٩).

رابع عشر : مِنْ أسس التعامل مع الصحابة رضي الله عنهم

ومما ينبغي أن يتخلق به من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم ما ذكره الله جل جلاله عنهم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾.

وفي هذه الآية يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: الناس على ثلاث منازل فمضت منهم اثنتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[1] الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآية، قال: فقد مضت هاتان المنزلتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

---

(١) سورة الحشر(٩).

فهذا هو الواجب إزاء الصحابة ﷺ ممن بعدهم، وما أحسن ما كان من التابعين بإحسان ممن شملهم مقام المدح في هذه الآية، ورضي الله تعالى عن الإمام الشاطبي حيث يقول في منظومته حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع:

جزى الله بالخيرات عنا أئمةً

لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلاً

وأحسن الله تعالى إلى الإمام السخاوي حيث يقول في شرح هذا البيت: نبَّه بهذا الدعاء على ما ينبغي من دعاء الخلف للسلف، وعلى ما يلزم من استشعار فضلهم، وإخلاص الحب لهم، وأنَّ الدعاء ثمرة الحب، وقد سأل سائل رسول الله ﷺ عن الساعة، فقال: ماذا أعددت لها؟ فقال: لم أعدَّ لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال: المرء مع من أحب[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، البخاري بشرح السندي (٤/٧٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنْۢ بَعْدِهِمْ﴾، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بمكافأة المعروف بالدعاء، وأي معروف أعظم مما أسداه إلينا علماؤنا، فإنهم بذلوا جهدهم في حفظ الشريعة، والذب عن كتاب الله عز وجل، والتنبيه على إبطال من رام به الباطل، وبغاة الغوائل، وأخذوا النفوس بالجد في حراسته حتى أوصلوه إلينا سليماً من التحريف والتبديل، نقياً من التخليط والأباطيل، فلولاهم لجُرْنَا عن السبيل بكيد من انتصب لعداوة هذا الدين معملاً التَّحَيُّل في إفساده، ضارباً في الأقطار ليظفر بضعيف يضله، وغني يزله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولقد أوضح علماؤنا كلَّ مشكلة، وشرحوا كلَّ معضلة، وأجمعوا على سد الخلل، وضيقوا على المبتدعة السبل، وأخذوا على المتمحِّلين الطرق، وهم بشهادة الرسول عليه السلام، إذ يقول: (يَحْمِلُ هذا العلم من كل خلف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين)[1].

(١) قال الخطيب: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له: كأنه =

وقد أحسن صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية حيث دعا إلى الأدب الواجب نحو هؤلاء السابقين بإحسان، فقال: «سألوا الله أن يطهر نفوسهم من الغلّ والحسد للمؤمنين السابقين، على ما أعطوه من فضيلة صحبة النبي ﷺ، وما فُضّل به بعضهم من الهجرة وبعضهم من النصرة، فبين الله للذين جاءوا من بعدهم ما يكسبهم فضيلة ليست للمهاجرين والأنصار، وهي فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة وانطواء ضمائرهم على محبتهم وانتفاء البغض لهم.

والمراد أنهم يُضْمِرُون ما يدعون الله به لهم في نفوسهم ويروضوا أنفسهم عليه، وقد دلت الآية على أن من الحق على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير، وأن من اللازم عليهم محبة المهاجرين والأنصار وتعظيمهم، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان قلبه عليه غل،

= كلام موضوع، قال: لا، هو صحيح، سمعته من غير واحد.. كنز العمال في سن الأقوال والأفعال (١٠/١٧٦) وانظر فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين السخاوي (١/٧٨).

فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الآية.

وأما ما جرى بين عائشة وعلي من النزاع والقتال، وبين علي ومعاوية من القتال، فإنما كان انتصاراً للحق في كلا رأيي الجانبين، ليس ذلك لغل أو تنقص، فهو كضرب القاضي أحداً تأديباً له، فوجب إمساك غيرهم من التحزب لهم بعدهم، فإنه وإن ساغ ذلك لآحادهم لتكافئ درجاتهم أو تقاربها، والظن بهم زوال الحزازات من قلوبهم بانقضاء تلك الحوادث، لا يسوغ ذلك للأذناب من بعدهم، الذين ليسوا منهم في عير ولا نفير، وإنما هي مسحة من حمية الجاهلية نخرت عضد الأمة المحمدية»[١].

ومن الأمثلة الصالحة على الأخلاق الزاكية في التعامل مع الصحابة رضي الله عنهم من التابعين بإحسان ما جاء عن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم. قلت: أعطني يدك

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (صـ ٨٧).

أقبلها، فأعطانيها فقبلتها[1].

ومن الأمثلة على ما حبا الله به الصحابة ﵃ من قبول لدى خلقه ما ورد من أن عقبة بن نافع الفهري ﵁ لما أراد أن يختط القيروان نظر إلى أجمة عظيمة متشابكة الأشجار وقال: «إنما اخترت هذا الموضع لئلا تطرقها مراكب الروم فتهلكها وهي في وسط البلاد»، ثم أمر أصحابه بالبناء فقالوا: هذه غياض كثير السباع والهوام، فنخاف على أنفسنا هنا، وكان عقبة مستجاب الدعوة، فجمع من كان في عسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر ونادي: «أيتها الحشرات والسباع، نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنها، فإنا نازلون، فمن وجدنا بعد قتلناه».

فنظر الناس يومئذ إلى أمر هائل: كان السبع يحمل أشباله، والذئب يحمل أجراءه، والحية تحمل أولادها، وهم خارجون أسراباً أسراباً، فحمل ذلك كثيراً من البربر على

(١) الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، أحمد بن عمر بن الضحاك الشيباني (٢/١٧٥) وانظر معجم الطبراني الكبير (٢٢/٩٤).

الإسلام، وأقاموا على ذلك أربعين عاماً لا يرون فيها حية ولا عقرباً[1].

ولما اختط عقبة بن نافع ﵁ جامع القيروان، جمع وجوه عسكره ودار بهم حول المدينة وهو يدعو دعاءه المعروف: «اللهم املأها علماً وفقهاً، وعمرها بالمطيعين، وأعز بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض».

كما أن المسلمين مدعوون إلى أن يتخلقوا بأخلاق النبي ﷺ، في ذكر محاسن من سبق إلى رحمة الله تعالى من المسلمين، مع الكف عن تناولهم بسوء، وهو ﷺ قد قال لهم: (اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم)[2].

ويشهد لهذا الحديث ما جاء في الصحيح عن عائشة ﵂

(١) انظر: معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، (٤/٤٢٠) وهذا الأثر رواه مجملاً خليفة بن خياط في تاريخه بإسناد قال فيه ابن حجر في الإصابة «حسن» (٥/٦٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٢٠٩) والحاكم في مستدركه (١/٥٤٢) والترمذي في سننه (٣/٣٣٩) وأبو داود في سننه (٤/٢٧٥).

أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)[1].

بل قد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من الأنصار آذى العباس رضي الله عنه في أبيه، فلطمه العباس، فجاء قومه

(١) صحيح البخاري (١/٤٧٠) وفي الجمع بين هذا الحديث وبين ما رواه البخاري أيضا (١/٤٦٠) ومسلم (٢/٦٥٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُر بجنازة فأُثنيَ عليها خيراً فقال نبي الله ﷺ: (وجبت، وجبت، وجبت)، ومُر بجنازة فأُثنيَ عليها شراً فقال نبي الله ﷺ: (وجبت، وجبت، وجبت). قال عمر فدى لك أبي وأمي. مُر بجنازة فأُثنيَ عليها خيراً فقلت: وجبت، وجبت، وجبت. ومر بجنازة فأُثنيَ عليها شراً فقلت: وجبت، وجبت، وجبت. فقال رسول الله ﷺ: (من أثنيتم عليه خيراً، وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً، وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض). أن يُقال في هذا الحديث: «دلالة على جواز ذكر المرء بما يعلمه منه إذا وقعت الحاجة إليه نحو سؤال القاضي المزكي وما أشبه ذلك، وكأن الذي أثنوا عليه شراً كان معلناً بشره، فأراد النبي ﷺ زجر أمثاله من شرورهم وعن إطالة الألسنة في أنفسهم فقال ما قال» انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٤/٧٥).

ـ أي قوم الرجل الذي آذى العباس في أبيه ـ فقالوا: والله لنلطمنه كما لطمه، فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فصعد المنبر فقال: أيها الناس أيُّ أهل الأرض أكرم عند الله ؟ قالوا: أنت، قال: فإن العباس مني، وأنا منه، فلا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا، فجاء القوم فقالوا: يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك[1]، فإذا كان هذا فيما كان قبل الإسلام، فكيف بخيرة المسلمين من المصطفين لصحبة النبي ﷺ؟، وإذا كان ﷺ غضب من صحابي تكلم عن صحابي كما في حديث عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، فكيف في قوم جاءوا بعد صحابته، لم ينالوا حظهم في الصحبة يتكلمون عمن اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، وهنا نفهم معنى قوله ﷺ: (إذ ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا)[2].

وأقل ما يوجبه الوفاء نحو ذلك أن نذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وأن نكف عما شجر بينهم، مما يبدو لقصير

(١) رواه الحاكم (٣/٣٧١) والترمذي (٨/٧٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨/٧٦) «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير(٢/٧٤٨).

النظر عيباً، لكونه لم يعرف فضل الأصحاب ﷺ، وأنهم ربما صدر عنهم الخطأ، لاجتهاد في إصابة الحق مع تحريه بصدق وإخلاص وتجرد.

وليخش على نفسه من انحرف عن الجادة، وضاق صدره فاتسع لسانه على السلف الصالح، وسادتهم الصحابة ﷺ، فإنه حقيق بأن يستحضر مشاهد القيامة وحساب الدار الآخرة، وحسبه أن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[1].

وما أسوأ ما يجر إليه التعصب الحزبي المذموم قديماً وحديثاً، فإنه يحول بعض القضايا «الاجتهادية» إلى صراع حزبي بغيض لا يرى فيه المتحزب الحقَّ إلا مع فريقه هو، ثم إنه لا يحسن الاعتذار لمن خالفه في الرأي، بل يسعى بالأساليب الحزبية نفسها إلى تدمير مخالفيه، والإساءة إليهم، والانشغال بذكر مثالبهم، واختراع ما يدعو خياله في الكلام عنهم، وكما قيل في الحكم:

(١) سورة طه (١١١).

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته
وأصبح في ليل من الشك مظلم

وهذا كله يوضح ضرورة إبقاء عدالة الصحابة ركناً ركيناً في الوجدان الإسلامي، وإن حدث من بعضهم - أحياناً - ملابسةٌ لما لا يخلو منه بشر، والفارق بينهم وبين من بعدهم هو الاصطفاء الإلهي للصحبة النبوية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

خامس عشر ـ الصحابة والرجوع إلى الحق

إذا اختلف الرأي بينهم فرجّاعون للحق، والأمثلة على ذلك لا نحصيها عدداً، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: قول ابن عباس رضي الله عنهما واصفاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مثل هذه المواقف: «كان وقّافاً عند كتاب الله تعالى».

ثانياً: ها هو عمر رضي الله عنه تماماً كما وصفه ابن عباس: فعن عبد الله بن مصعب قال: «قال عمر رضوان الله عليه: «لا تزيدوا مهور النساء على أربعين، وإن كانت بنت ذي الفضة، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال»، فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1]، فقال عمر رضوان الله عليه: «امرأة أصابت، ورجلٌ أخطأ»[2].

(١) سورة النساء (٢٠).

(٢) مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (صـ ١٤٩).

ثالثاً: لما اتفق الصحابة كلهم رضوان الله عليهم على أنه لا يجب على من أصيب بجنابة ليلة الصيام أن يغتسل قبل طلوع الفجر، وأنه إذا أصبح صائماً وهو جُنب صحَّ صومه، ولا شيء عليه، لا قضاء ولا كفارة، خالف أبو هريرة رضي الله عنه وقال: «ومن أدركه الفجر جُنباً فلا يصم»[1].

ولكن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: «إن كان رسول الله ﷺ ليصبح جنباً من جماع غير احتلام في رمضان ثم يصوم»[2]. وصرحت أم سلمة رضي الله عنها قائلة: «ثم لا يفطر ولا يقضي»[3].

فتراجع أبو هريرة رضي الله عنه عن مذهبه وفتواه حين أُخبر برواية عائشة وأم سلمة وقال: «هما أعلم»[4]، وفي رواية: «هنّ أعلم برسول الله ﷺ منا»[5].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام (ح رقم ٢٥٨٤).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/٢٨٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام (ح رقم ٢٥٨٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيام، (ح رقم ٢٥٨٦).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام (ح رقم ٢٥٨٤).

(٥) الاستذكار، لابن عبد البر (١/٥٢).

هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين أفلحوا، كيف لا؟، وقد آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وقد شرفهم الله تعالى بنيل هذه الصحبة الشريفة حتى فقهوا الصحبة لرسول الله ﷺ وعاشوها ورعوها حق رعايتها بنفوسهم، ونفائسهم، وأنفاسهم، وأرواحهم، ومهجهم، وأحوالهم، حتى بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، ظلوا على هذا الخلق فارتبطوا به يتذاكرون أحوالهم معه، ويسترجعون صحبتهم له، ويشتاقون إلى لقياه على نحو ما يعبر عنه بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ، وهو في ساعة عصيبة من سكرات الموت، وهتفت عندئذ زوجته: واحزناه! فقال لها: «بل قولي واطرباه، غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبـــه»[1].

وتعليقاً على حديث بلال رضي الله عنه قال بعض الأئمة: لقد علم بلال أن الإمام لا ينسى مؤذنه.

---

(١) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض (٢/٦٦٧، ٥٦٩).

ولهذا فإن من حسنت صحبتـه، وصحَّت متابعتـه للنبي ﷺ كان شوقه أعظم للقائه مع التزام هديه واقتفاء أثـــره ﷺ.

سادس عشر ـ وصية جامعة

إن عموم صحابة رسول الله ﷺ وخاصتهم من أهل بدر والرضوان والسبق بالهجرة والنصرة أولئك الذين جاءوا على قدر من ربهم، ونالوا شرف الصحبة لنبيهم ينبغي أن يحظوا بحسن الظن والتأدب اللائق من سائر المسلمين، أفرادهم وجماعاتهم، فلا يذكروا إلا بالخير وصالح المقال.

ومن وافق منا أحد الصحابة رضوان الله عليهم في رأيه واجتهاده، لا يجوز له أن ينتقص من خالفه في اختياره لرأي صحابي آخر أو إتباع اجتهاده، وذلك حتى نلقى الله تعالى بصدر سليم، راجين رحمة الله تعالى وحسن الختام.

سابع عشر ـ خاتمة

وهكذا فإن إثبات العدالة والفضل والسبق للصحابة من أمارات الإيمان الصادق بالبعثة النبوية الشريفة، بينما الطعن في عدالتهم من علامات الشقاق والنفاق الذي يفتح الباب لفتنة دينية يُخْشى معها أن تؤدي إلى الخروج من الملة، لما ينطوي عليه ذلك من إنكار للشهادات القرآنية والنبوية بالفضل لسابقتهم، وحسن الذكر لسيرتهم.

أما ما جرى بينهم من خلاف أو اختلاف مما ينقله بعض المؤرخين ــ بعد تحقيق فحصه وتدقيق تمحصه ــ في ضوء ما علق به جراء العصبية والمذهبية، فلا يصح إلا أن يُحمل على حسن الظن بهم، حيث يسعهم اجتهاد الرأي، وتلحق بهم مغفرة الخطأ، وهم الذين أظمئوا نهارهم في صيام الهواجر وأسهروا ليلهم قياماً،كما جاء وصفهم في الكتاب العزيز أنهم: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ

يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[1]، كما وصفوا بأنهم: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾[2].

وحذار حذار من التعرض للصحابة، فإن ذلك مما يؤذن بالفتنة وينذر بسوء الخاتمة وسوء المنقلب والعياذ بالله من ذلك: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

«اللهم وفقنا لما تحب وترضى من حمد نعمك وآلائك الجزيلة، وشكر فضلك العظيم، ومعرفة الفضل لأهله من عبادك الصالحين رجاء أن نكون من المستقيمين على أمر الله الفائزين فوزاً عظيماً.

اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، وإمام الرحمة.

(١) الذاريات (١٧، ١٨).

(٢) المدثر (٥٦)

(٣) النور (٦٣)

اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون..»[1].

وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ممن أسلموا لله وهاجروا له، وجاهدوا في سبيله تعالى.

اللهم واغفر لمن تبعهم بإحسان محباً لهم، ومستغفراً، وألحقنا بهم في عبادك الصالحين....

والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢١٣) والطبراني، والديلمي عن ابن مسعود موقوفاً، انظر: الحديث رقم (٥) من كتابنا الأذكار والأدعية المختارة.

(٢) الصافات (١٨٠، ١٨٢).

الفهارس

أولا - فهرس الآيات

- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ٢٠
- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ٢١
- ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ٢٢
- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ ٢٣
- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ٢٣
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ٢٤
- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٤
- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ ٢٥
- ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ٢٥
- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ ٢٧

- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ ٢٧
- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ٢٨
- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ ٢٨
- ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٢٨
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ ٢٨
- ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ ٢٨
- ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ ٣١
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ٣١
- ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ ٣٢
- ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ٣٢

ثانيا - فهرس الأحاديث والآثار

الحديث / الأثر	الصفحة

ثالثا ـ فهرس المصادر والمراجع

أولا ـ القران الكريم

ثانيا ـ كتب التفسير وعلوم القران

ـ **الجامع لأحكام القرآن** ـ للقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧هـ ـ ١٢٧٣م) بيروت، لبنان (د. ت).

ـ **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (د.ت).

ـ تفسير **التحرير والتنوير** ـ لابن عاشور، الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر (د.ت).

ـ الآحاد **والمثاني** ـ لابن أبي عاصم، أحمد بن عمر بن الضحاك الشيباني، تحقيق الدكتور/ باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

ثالثا ـ كتب الحديث وعلومه

ـ **صحيح البخاري** ـ للإمام أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزدية البخاري الجعفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).

ـ **صحيح مسلم (الجامع الصحيح)** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (د.ت).

ـ **سنن أبي داود** ـ لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ) شرح وتحقيق الدكتور/ السيد محمد سيد، والدكتور عبد القادر عبد الخير، والأستاذ / سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ **سنن أبي داود** ـ مع حاشية لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

ـ **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

- **سنن ابن ماجه** - لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) تحقيق وفهرسة محمد فؤاد عبد الباقي، والدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

- **مسند الإمام أحمد** - لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٤م.

- **سنن الدارمي** - لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ودار إحياء السنة النبوية (د.ت).

- **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، تصحيح وترقيم وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

- **المعجم الأوسط** - للطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق وتخريج وفهرسة أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ) تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** للعراقي، للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن - دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)

- **السنن الكبرى** - للبيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ) دار الفكر (د.ت).

- **السنن الكبرى** - للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٤١١هـ، ١٩٩١م.

ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ـ للهيثمي، نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ **مصنف عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ للهندي، علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي البرهاني فوري (٩٧٥هـ) ضبط وتصحيح الشيخ / بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

ـ **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، للزرقاني، من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

ـ **السنة** ـ لابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

ـ **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م،

ـ **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة** ـ لعبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

ـ **أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال** ـ للدكتور/ نور الدين عتر، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ودار الفرفور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

ـ **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** ـ لابن الصلاح، أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت١٤٢٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

ـ **الكفاية في علم الرواية** ـ للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ) دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية (د.ت).

- **منهاج السنة النبوية**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق الدكتور/ رشاد محمد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- **إعلام الموقعين**، لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي (ب.ت).

- **الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ** - للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (ب.ت).

- **فتح الوصيد في شرح القصيد** - للسخاوي علم الدين، دراسة وتحقيق أحمد عدنان الزغبي، رسالة مقدمة لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، لنيل درجة الدكتوراه، للعام الجامعي ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- **الأذكار والأدعية المختارة** - للأستاذ الدكتور احمد علي الإمام، دار مصحف إفريقيا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

رابعا - كتب العقيدة

- **شرح الطحاوية** - لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة التراث، القاهرة، مصر (ب.ت)

- **الإبانة عن أصول الديانة** - لأبي الحسن الأشعري، على بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ) تحقيق وتعليق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية، ومكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** - لأبي الحسن الأشعري، على بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ) تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

خامسا - كتب أصول الفقه

- **الموافقات في أصول الشريعة** - لأبي إسحق الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق عبد

المنعم إبراهيم، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
ـ **البرهان في أصول الفقه** ـ لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق الدكتور عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، مصر، الطبعة الرابعة، ١٤١٨م.
ـ **البحر المحيط في أصول الفقه** ـ للزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، تحرير الدكتور/ عمر سليمان الأشقر، ومراجعة الدكتور / عبد الستار أبو غدة والدكتور/ محمد سليمان الأشقر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
ـ **المحلّى** ـ لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (٤٥٦هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (ب.ت).

سادسا ـ كتب اللغة العربية

ـ **معجم مقاييس اللغة** ـ لأبي الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى،

الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
ـ **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، من منشورات مجمع اللغة العربية ـ طبعة دار الشروق (د. ت).

سابعا ـ كتب التراجم والأعلام

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لابن حجر العسقلاني، حقق أصوله وضبط أعلامه علي محمد البجاوي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١، ١٩٩٢م.
ـ **البداية والنهاية** ـ لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، مكتبة دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
ـ **الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة**، للعامري، يحيى بن أبي بكر اليمني، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان (ب.ت)
ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ـ لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ.

- **العواصم من القواصم في تحقيق الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ** - للإمام القاضي أبو بكر بن العربي، حققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان (ب.ت).

- **طبقات ابن سعد المسماة بالطبقات الكبرى** - لأبي عبد الله، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) دار صادر، بيروت، لبنان (ب.ت).

- **الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي نشأته وسيرته الذاتية، وطرف من أمجاده في مسيرة حياته** - لعبد الله المصري، دار الروافد الثقافية، القاهرة، مصر (ب.ت).

- **معجم البلدان** - للإمام شهاب الدين أبي عبد الله، ياقوت الحموي، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان (ب.ت).

- **مناقب عمر بن الخطاب** - لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ب.ت).

رابعا - فهرس الموضوعات